

بيان رقم (19)

النظام السعودي ومآسي الحجاج المتكررة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين، وبعد :
فقد أصبح من المألوف المعروف، والعادة المعتادة، في كل سنة ما يتعرض له حجاج بيت الله الحرام من مصائب ومآسٍ، تحصد الآلاف والمئات من هؤلاء الحجاج بين قتيل وجريح، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهكذا، وكالعادة شب حريق فضيع يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة من هذه السنة في مخيمات هؤلاء الحجاج وأتى على سبعين ألف خيمة، مخلفاً أكثر من ألفين من القتلى والجرحى حسب اعتراف النظام السعودي، وقد تكون الحصيلة فوق ذلك بكثير .

وبذلك عادت إلى الأذهان الصورة المتجددة للمأساة الموسمية مع كل حج، وما تحمله معها من صور الرعب المتمثل في تناثر القتلى والجرحى في مخيمات منى تارة، وعند الجمرات تارة أخرى، وفي نفق المعيصم أو غيره من بلد الله الحرام تارات آخر ؟ .

ونحن إذا نظرنا إلى الأسباب المباشرة إلى هذه الأحداث، سنجدها إما ضيق في المرافق العامة للحجاج مما يؤدي تحت الصدام والزحام إلى الدهس والدغس، كما حصل في الجمرات عدة مرات، وإما تقصير في الإجراءات الأمنية أو سوء تعامل مع الأحداث كما حدث في حج سنة 1407 هـ وفي نفق المعيصم بعد ذلك، وإما إهمال عام في أمن الحجاج وأخذ الاحتياطات اللازمة لسلامتهم، وهذا الإهمال هو سبب حدوث كثير من الحرائق المتكررة في مخيمات الحجاج .

وهناك سبب آخر هو ازدياد عدد الحجاج، لكن هذا السبب يمكن تلافي آثاره باتخاذ الاحتياطات اللازمة بشأنه، والقضاء على

الأسباب الأخرى لأن العالم كله تحدث فيه تجمعات بشرية مليونية بعضها ترعاه حكومات رسمية كالتجمعات الرياضية وغيرها، وبعضها ترعاه جماعات دعوية غير رسمية لا تمتلك عشر معشار ما تملكه الحكومة السعودية من الإمكانيات، ومع ذلك لم نر ولم نسمع حصول أي حوادث من قبيل ما يحصل كل سنة تقريباً في الحج من كوارث وفواجع .

تلك هي أهم الأسباب المباشرة للأحداث والمآسي التي تتجدد موسمياً مع الحج، وهذه الأسباب ترجع إلى سبب رئيسي وأساسي هو ما ابتليت به الأمة الإسلامية عموماً، وبلاد الحرمين خصوصاً من سيطرة حكام وأمراء آل سعود على هذه البلاد المقدسة، واستبدادهم بالأمور، وعدم مبالاتهم بمشاعر أكثر من مليار مسلم في القارات الخمسة، يتوجهون بقلوبهم ووجوههم خمس مرات في كل يوم إلى بيت الله الحرام وبلده الأمين .

فنحن إذا ما نظرنا إلى الأسباب السابقة فإننا نجد أن القضاء عليها هو مسؤولية مفترضة في هذا النظام الذي يحكم هذه البلاد ويحتكر أمراؤه لأنفسهم المسؤولية عن كل صغيرة وكبيرة من شؤونها عموماً وشؤون الحج خصوصاً .

إن تجهيز المرافق اللازمة وصيانتها وإعدادها بالشكل الكافي والمستوى الملائم لاحتياجات الحجاج هو مسؤولية مفترضة في حكام هذه البلاد ذات الموارد الضخمة والميزانيات الكبيرة بفضل الله .

ولا يشفع لهؤلاء ما قاموا به من بناء المرافق وتقديم الخدمات العديدة التي يصاحبها ما يصاحبها من المن والأذى والرياء والسمعة، لأن هذه المرافق والخدمات أثبتت التجربة والأحداث أنها ليست على المستوى المطلوب والكافي، والأموال التي أنفقت عليها لا تساوي نسبة تذكر من الأموال التي ينفقها الأمراء والحكام من آل سعود على القصور واللذات والشهوات في الداخل والخارج، فضلاً عما تسلبه وتنهبه أمريكا وحلفاؤها من ثروات وخيرات هذه

البلاد، الذي يتجاوز معدله الأسبوعي كل ما تحتاجه مرافق الحج
مجتمعة خلال سنة كاملة .

واتخاذ الاحتياطات الأمنية اللازمة والتعامل المناسب مع
الأحداث هو من ضمن هذه المسؤولية المفترضة في هؤلاء الذين
ما زالوا يملؤون الدنيا تفاعراً بإنجازاتهم وقدراتهم الأمنية .
والقضاء على الإهمال الذي هو سبب كثير من الحرائق في
مخيمات الحجاج داخل أيضاً في هذه المسؤولية، فقد كان من
الممكن تجنب هذه الحرائق والتخفيف من أثارها بعدة حلول تقدم
بها أهل الرأي والنصح إلى هؤلاء الحكام الذين رموا بها عرض
الحائط .

إن المشكلة ليست في إمكانية إيجاد حلول تجنب ضيوف
الرحمن وحجاج بيته العتيق هذه المآسي والمصائب التي يتعرضون
لها كل سنة، ولا في إمكانية تطبيق تلك الحلول السهلة الميسورة،
فالحلول مقدمة للنظام الحاكم من زمن بعيد، وما يحتاجه تنفيذها
من أموال لا يساوي نسبة تذكر من الأموال المصروفة على رجال
المخابرات والتجسس الذين يلاحقون الحجاج ويضايقونهم، ويعملون
على تفرغ الحج من مضمونه ومحتواه، فهل يصدق أحد أن هذا
النظام الذي يزاحم بدوره وقصوره الحجاج في المشاعر وغيرها،
ويصرف على ذلك المليارات ذات العدد، يعجز عن توفير سكنٍ
مناسبٍ للحجاج يجنبهم مخاطر الحرائق المتكررة، ويوفر لهم الأمان
حتى يتمكنوا من أداء حجهم؟! .

الحق أن توفير مستلزمات راحة واطمئنان الحجاج بشكل
كافي، لا يمثل مشكلة، فالمشكلة هي في النظام السعودي الذي
يريد أن يحتكر لأمرائه المسؤولية عن كل أمر من هذه الأمور دون
أن يكلف نفسه الالتزام بأبسط قواعد هذه المسؤولية، فكيف يتصور
أو يقبل أو يعقل في أي دين أو شرع أو أي نظام وقانون أن
تتكرر كل هذه المآسي كل سنة دون أن يسأل أو يحاكم أو يفصل
أو يعزل من كان تقصيره سبباً في ذلك؟! .

إن من التلاعب بعقول المسلمين وتخدير مشاعرهم أن تستمر هذه المآسي، ويستمر المسئولون عنها في المسئولية، دون أدنى مساءلة، أو اتخاذ أية إجراءات كافية لمنع تكرارها، والاكتفاء - في بلاد- بتقديم التعازي الباردة لأسر ودول الضحايا من ضيوف الرحمن، كل هذا الإهمال وعدم المبالاة بأرواح الآلاف من ضيوف الرحمن وحجاج بيته، يتم في الوقت الذي يبدي فيه النظام السعودي اهتماماً غير عادي بأرواح أعداء الأمة من اليهود والنصارى، فهذا هو من أجل مقتل ستين يهودياً محتلاً في فلسطين يهرع إلى مؤتمر شرم الشيخ ليقدم التعازي لعصابة صهيون المحتلة في فلسطين، ويبدي تضامنه معها، ويصادق على مقررات المؤتمر التي تجرم الجهاد والمجاهدين، وها هو يقيم الدنيا ولا يقعداها من أجل مقتل حفنة كفار من العسكريين الأمريكيين، وقدّم -إرضاء للأمريكان- رؤوس مجموعة من الشباب الأطهار الغيورين على عقيدتهم وبلدهم وأمتهم، وزج بالآلاف في السجون وعزّل قادة عسكريين كباراً اتهموا بالتقصير في حماية المحتلين الأمريكيين، واتخذت إحدى وثمانون خطوة احتياطية لمنع تكرار مثل تلك الأحداث، واعترفت الحكومة الأمريكية أنه بالتعاون مع النظام السعودي نفذت تسعة وسبعين خطوة من تلك الخطوات!؟

فمتى أصبحت أرواح حفنة من الأنجاس اليهود والغزاة الأمريكيين أعلى من أرواح الآلاف من ضيوف الرحمن وحجاج بيته العتيق؟! هؤلاء الحجاج الذين جاءوا من كل حذب وصب متجشمين عناء السفر، ومتكلفين باهظ التكاليف، ومتحملين مع ذلك كل أنواع الإهانات من الإذلال والتفرقة والتمييز والمضايقات التي يسومهم بها النظام السعودي، يتحملون كل ذلك في سبيل أداء هذه الفريضة وهذا الركن العظيم من أركان الإسلام، ثم يجدون أنفسهم بعد ذلك وقوداً لمحرقه إهمال وعدم مبالاة هذا النظام بأرواح هذه الآلاف المؤلفة من الضحايا، وعدم اكتراثه بمشاعر أضعاف عددهم من الأرامل واليتامى والثكالى والأيامى، ممن كانوا

ينتظرون بفرحٍ غامرٍ عودة ذويهم من رحلة العمر، فإذا بهم يستلمونهم جثثاً هامة في مآتمٍ عالميٍ كبير، هذا إذا كانوا محظوظين واستلموا تلك الجثث، ولم يسطُ عليها النظام السعودي ويحولها إلى مادةٍ للتشريح، كما حصل في مراتٍ كثيرة، حيث يحفظ هذا النظام جثث بعض الحجاج الذين يموتون في أحداث الحج، ولا يجدون من يطالب بجثثهم، وجعل هذه الجثث مادةٍ يجرب فيها ويطبق أساتذةٌ وطلابٌ كليات الطب، ولا حول ولا قوة إلا بالله

إننا في الوقت الذي نقدم فيه خالص العزاء للأمة الإسلامية عموماً، وأسر وذوي الضحايا خصوصاً، ونؤكد حق هؤلاء في المطالبة بتعويضاتٍ عادلةٍ تُناسب فداحة الجرم وفضاعة الأضرار التي تعرضوا لها، فإننا نؤكد براءة أهل البلاد من التصرفات التي يقوم بها النظام، والغريبة على ديننا وعاداتنا وأخلاقنا الحميدة .

وَنُحَمِّلُ النظام - مع أنه فاقد الشرعية كما بيّنا وبيّن أهلُ العلم - المسؤولية عن هذه المآسي المتكررة المتجددة مع كل موسم حجٍ تقريباً، فتوفير الأمن لضيوف الرحمن، وما تتطلبه راحتهم وسلامتهم من تكاليف مادية، كل ذلك مسؤولية مفترضة في هذا النظام، فهي مسؤوليته الأمنية ومسئوليته المادية، ولكن لعل عذره في تضييع مسؤوليته الأمنية هو انشغاله بملاحقة الدعاة والعلماء، والعاملين للإسلام ومحاربتهم، والزج بالآلاف منهم في السجون من جهة، وحماية القوات الأمريكية المحتلة وقواعدها التي تتعرض لنقمة المسلمين، بعد أن احتلت مقدساتهم ونهبت خيراتهم وسلبت ثرواتهم وتآمرت ضدهم، في بلاد الحرمين وغيرها من جهة أخرى .

ولعل عذره في تضييع واجباته المادية هو إنهاك ميزانيته بالصرف على الشيوعيين في اليمن والنصارى في جنوب السودان، والطواغيت في مصر والجزائر وغيرها .

وما يمنعه من ذلك والرسول ﷺ يقول : (إن مما أدرك
الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

التاريخ : 8/12/1417 هـ .

الموافق : 16/4/1997 م .